



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2024/08/02

تاريخ القبول: 2025/03/30

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

شبهات المستشرقين حول مصدريه القرآن الكريم

وأثر الإعجاز القرآني عليها

*The doubts of orientalists about the source of the Holy Quran, And the effect of the Quranic Miracle on her*حمزة قرد*¹ السعيد بوخالفة²¹ جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)، hemza.guerd@univ-batna.dz² جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)، Said.boukhalfa@univ-batna.dz

الملخص:

يعتبر القرآن الكريم المعجزة الربانية الخالدة التي حيرت جميع المخلوقات، إلا أن ذلك أدى إلى ظهور صوت العناد لدى بعض الباحثين المستشرقين الذين أفرغوا وسعهم وجهدهم في إنكار ربانية القرآن الكريم ودسّوا شكوكا متعدّدة في ذلك، وهذه الدراسة تهدف إلى جمع مجمل هذه الشبهات والردّ عليها وإثبات بطلانها من خلال الإعجاز القرآني الذي هو بنفسه يُعدّ داحضاً نافياً لكلّ شبهة وردت في هذا الصدد، فخلصت هذه الدراسة إلى المصدريّة الإلهية للقرآن الكريم ؛ وأنّ هذه الشبهات باطلة عقلاً ونقلاً؟

كلمات مفتاحية: الاستشراق، القرآن الكريم، الإعجاز القرآني.

ABSTRACT

The Holy Quran is considered the eternal divine miracle that puzzled all creatures, However, this led to the emergence of the voice of stubbornness among some Orientalist researchers who emptied their energy and effort into denying the divinity of the Holy Quran and planted multiple doubts about it, This study aims to collect the totality of these suspicions and respond to them and prove their invalidity through the Quranic miracle, which itself is a refutation of every suspicion received in this regard, This study concluded the divine source of the Holy Quran, And that these suspicions are invalid by reason and transfer.

Keywords : Orientalism, The Holy Quran, The Quranic miracle.

1- مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل عل عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنّ القرآن الكريم بوصلة المؤمنين ونبراسهم، فهو كتاب حوى أحكاماً وتشريعات متعدّدة تنظّم حياة النّاس وسبيل مصلحتهم الدّنيوية والأخروية، إذ هو كلام الله المعجز المنزل عل قلب سيّدنا محمد عليه الصّلاة والسّلام بواسطة أمين الوحي جبريل -عليه السّلام- بلسان عربيّ مبين، فكان هو معجزة تُبوّته؛ فتحدّى به العرب الأقحاح على أن يأتوا بمثله ففشّلوا في ذلك؛ بل لم يُحاولوا أبداً لإدراكهم مدى إعجاز هذا الكتاب العظيم، إلّا أنّ ذلك لم يمنع اليوم من ظهور بعض من يُكذّبون هذا الكلام من أنّه كلام ربّ العالمين، ومن هنا ظهر صوت المستشرقين الذي يطعن في مصدريّة الكريم وأنّ لهم منظارا خاصّاً في ذلك؛ فأثيرت شبهات كثيرة حول أصل القرآن الكريم وأنّه نتاج بشريّ تعلق بثقافات وديانات سابقة. وفي سياق ذلك يلعب الإعجاز القرآني دوراً هاماً في الردّ والتّصدي لها، إذ يُعنى بالدلائل والحقائق التي تثبت أنّ القرآن ليس من صنع البشر، وذلك من خلال مختلف وجوه الإعجاز التي أتى بها؛ ممّا يعزّز ويؤكد مصداقية القرآن العظيم ومصدره الإلهي، ليكون داحضاً لأيّ شبهة تطعن في ربّانية كلام الله تعالى.

ومن ذلك تنبثق الإشكالية الرّئيسة لهذا البحث المتضمنة لماهية هذه الشّبهات وأثر الإعجاز القرآني عليها والتي نطرحها كما يلي: ما هي أهمّ الشّبهات التي أثارها المستشرقون حول مصدريّة القرآن الكريم، وما أثر الإعجاز القرآني عليها؟

وتحت هذه الإشكالية الرّئيسة تندرج تساؤلات فرعية، هي كالآتي:

1- ما حقيقة المفاهيم الرّئيسة في التي تضمّنها الموضوع (الشّبهة، الاستشراق، الإعجاز القرآني)؟

2- ما هي أهمّ الشبهات التي طُرحت حول مصدريّة القرآن الكريم؟

3- كيف يردّ على هذه الشّبهات من أجل إبطالها؟

4- كيف تُبطل هذه الشّبهات من وجهة نظر الإعجاز القرآني عليها؟

أهمية البحث:

ولهذا البحث أهمية بالغة تتمثّل في تعزيز الفهم الصّحيح للقرآن الكريم؛ من خلال دراسة الإعجاز القرآني ممّا يعزّز ويقوّي الإيمان بمصدريّة القرآن الكريم الرّبّانية، ودحض هذه الشّبهات وفق ردود علمية ومنطقية، ممّا يحمي ويعزّز الهوية الإسلامية ويمنع أيّ دخيل من العبث ممّا هو أصيل.

أهداف البحث:

وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- 1- عرض أهم شبهات المستشرقين حول مصدريّة القرآن الكريم وتحليلها، والرد عليها بعد مناقشتها وفق منهجي علمي منطقي.
- 2- توضيح مفهوم الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة (اللغوي والبياني، التشريعي، العلمي، الغيبي) وكيفية استخدامه في الرد على الشبهات.
- 3- إثبات المصدريّة الإلهية للقرآن الكريم من خلال أدلة عقلية وعلمية سليمة.
- 4- تعزيز الوعي الديني حول أهمية الدفاع عن الدين الإسلامي والقرآن الكريم.
- 5- حماية القرآن الكريم من أيّ دخيل يحاول الطعن في أصالته.

الدراسات السابقة:

ولقد وقفت في بحثي هذا على دراسات سابقة كان لها الفضل في مساعدتي في كتابة هذا البحث، والمتمثلة في هاتين الدراستين الآتيتين:

- 1- مطاعن المستشرقين في ربّانية القرآن الكريم، عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السّنة الرابعة عشر، العدد 38، جامعة الكويت، ربيع الآخر 1420هـ، أغسطس 1999م.
- 2- الرد على شبهات المستشرقين حول مصدريّة القرآن الكريم، أيوب إبراهيم، مجلة دياي، العدد 53، كلية العلوم الإسلامية سامراء، سنة 2011م.

وقد ساعدتني هاتين الدراستين في الرجوع إلى بعض أقوال وآراء المستشرقين حول مصدريّة القرآن الكريم، ولهما واسع الفضل على هذه الدراسة؛ لتركّز هذه الأخيرة على جانب الإعجاز القرآني للرد على هذه الشبهات ودحضها وإبطالها.

منهج البحث:

وقد تطلّب طبيعة البحث الاستعانة بالمنهج التحليلي؛ وذلك من خلال جمع أهمّ الشبهات التي أثارها المستشرقون حول مصدريّة القرآن الكريم وتحليلها، كما أيضا يتجلى هذا المنهج عند سرد بعض الآيات القرآنية التي تتعلق بالإعجاز، إذ يتطلّب الأمر تحليل هذه النصوص وإثبات وجه الإعجاز فيها. كما أنّ البحث تطلّب النقدي والذي يتّضح عند مناقشة هذه الشبهات.

2- مفاهيم عامة حول الموضوع:

إنّ موضوعنا هذا يحوي مجموعة من المفاهيم التي لا يستقيم البحث منهجيّاً ولا علمياً دون التّوقّف عندها وإعطائها حقوقها ومستحقّاتها من النّظرة التعريفية لها، والمتأمّل في عنوان البحث يمكن أن يقف على ثلاث تساؤلات؛ ما مفهوم الشّبهة؟ وما مفهوم الاستشراق؟ وما مفهوم الإعجاز القرآني؟

وقد حُصّص هذا المبحث للوقوف على هذه النّقاط الثلاثة تمهيداً لما سيأتي من الكلام القادم، فيكون القارئ قد حصل مفهوم المصطلحات الرّئيسة في البحث، وسنتطرّق إلى ذلك وفق المطالب التّالية:

2-1-1- المطلب الأوّل: مفهوم الشّبهة: وسنتطرّق في هذا المطلب إلى المفهوم اللّغوي وكذا الاصطلاحيّ في هذه الفروع الآتية:

2-1-1-1- الفرع الأوّل: لغة: ولنا في ذلك اقتباسات لأعلام اللّغة يتحدّثون عن أصل هذه الكلمة ومعانيها، نسردها على الوجه الآتي:

- يقول ابن فارس (ابن فارس، 1979م، صفحة 243): "الشَّيْنُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَضْعًا، يُقَالُ شَبَّهْتُ وَشَبَّهْتُ وَشَبَّهْتُ. وَالشَّبَّهَةُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الَّذِي يُشَبِّهُ الذَّهَبَ. وَالْمُشَبَّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا".

- يقول ابن منظور في خضم حديثه عن الشّبه (ابن منظور، 1414هـ، صفحة ص505): "لَيْسَ مِنَ الْاِشْتِبَاهِ الْمَشْكِلُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ التَّشَابُهِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْاِسْتِوَاءِ. الْمَشْتَبِهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْكِلَاتُ. وَتَقُولُ: شَبَّهْتُ عَلِيَّ يَا فُلَانُ إِذَا خَلَطَ عَلَيْهِ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرُ إِذَا اخْتَلَطَ، وَاشْتَبَهَ عَلِيٌّ الشَّيْءَ".

إذن يتبيّن لنا ممّا سبق المعنى اللّغويّ للشّبهة؛ فكان أصله من التّشابه والتّماثل، ومعروف أنّ الأمر إذا اشتبه وتماثل كثيراً أشكل علينا، وهذا هو معنى الشّبهة الذي يخدمنا في بحثنا هذا هو الأمر الذي المختلط الملتبس المشكل علينا، فالشّبهة إذن هي الالتباس والاختلاط والاستشكال.

2-1-1-2- الفرع الثّاني: مفهوم الشّبهة في الاصطلاح: ونجد للشّبهة تعريفات كثيرة نذكر اثنتين منها، تقرب لنا المفهوم الذي تدور عليه الشّبهات كما يلي:

- عرّفها ابن القيم بقوله (ابن القيم، 1432هـ، صفحة 394): "الشّبهة وارِدٌ يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ انْكِشَافِ الْحَقِّ لَهُ".

- كما عرّفت بأنّها (جامعة المدينة، صفحة 11): "ما التبس أمره، فلا يُدرى أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل".

فالشبهة إذن هي ما أشكل واختلط والتبس علينا في أمرٍ من أمور الدين، تصرف عن انكشاف الحقي أو الحلال، فلا يُدرى أهو حلال أم حرام، أو حق أم باطل، وهي واردة في جلّ علوم الدين وفنونه من علم العقيدة أو الفقه أو القرآن وما يتعلّق به، وهذا الأخير محلّ بحثنا.

2-2- مفهوم الاستشراق: وسنقف على مفهوم كلٍّ من المعنى اللغوي والاصطلاحي، كما يلي:

2-2-1: الفرع الأول: المعنى اللغوي: وأصل هذه الكلمة أنّه مشتق من الشرق، ومن ذاك المشرق، وفيما لي زيادة توضيح لدلالاتها اللغوية:

- جاء في معجم مقاييس اللغة عن أصل هذه الكلمة (ابن فارس، 1979م، صفحة 264): "الشرق والراء والقاف أصل واحد يدلّ على إضاءة وفتح، من ذلك شرقت الشمس، إذا طلعت. وأشرق، إذا أضاءت. والشرق: طلوعها."

- كما جاء في لسان العرب أيضاً (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 175) "شَرَقَتِ الشمسُ تَشْرِيقاً شَرْقاً وشَرْقاً: طَلَعَتْ، والتَّشْرِيقُ: الأخذُ في نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ. يُقَالُ: شَتَانٌ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ. وَشَرَقُوا: دَهَبُوا إِلَى الشَّرْقِ أَوْ أَتَوْا الشَّرْقَ. وَكُلُّ مَا طَلَعَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَقَدْ شَرِقَ."

إذن ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ كلمة الاستشراق مأخوذة من الشرق، الذي هو بمعنى المشرق؛ أي جهة طلوع الشمس، أمّا السين في الاستشراق فهي تفيد الطلب، ومنه الاستشراق لغة معناه طلب الشرق، ومن ذلك طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه.

2-2-2: الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي: أمّا التعريفات الاصطلاحية للاستشراق فقد سال الكثير من الخبر فيها؛ لكنّها لم تُعطى تعريفاً واحداً جامعاً مانعاً لها، وذلك راجعٌ لاختلافات زوايا الباحثين ووجهات نظرهم، بل وحتى اختلافاتهم في عقائدهم وإيديولوجياتهم الدّينية والسياسية، ولسنا بصدد هذا البحث أن نخصّص وننقّب في هذه التعريفات، وإنّما سنكتفي بسرد تعريفين اثنين يتماشيا ومفهوم الاستشراق وموضوع بحثنا كما يلي:

- (زقزوق، 1989م، صفحة 24) الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، والمستشرق هو كل عالم يشتغل بدراسة الشرق كلّ في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه، أي دراسة علومه في كل المناطق الجغرافية فيه سواء كان أقصاه أو وسطه أو أدناه.

- (الحاج، 2002م، صفحة 22) الاستشراق هو تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه.

إذن من خلال ما سبق يتبيّن لنا مدى الترابط الوثيق بين المعنى اللّغوي والاصطلاحي، ويظهر أيضاً أنّ هذين التعريفين لمحا للمفهوم العامّ للاستشراق الذي يخضّ الشّرق، وإن كان هناك معي خاصاً له وهو الذي يرتبط بعلوم الشّرق الأوسط وهذا معروف ومتداول عند المستشرقين أنفسهم.

2-3- مصدريّة القرآن الكريم من منظور إسلامي: إنّ المسلم يرى اعتقاد عين اليقين أنّ القرآن الكريم كتابٌ مصدره ربّ العالمين أنزله على قلب محمّد النّبيّ الأمين بواسطة الوحي جبريل عليه السّلام، وأنّ هذا القرآن معجزة في ألفاظه ومعانيه، جعل أرباب قريش من أهل الفصاحة والبيان في حيرة من أمرهم، لأنهم أدركوا أنّ هذا الكلام ليس بكلام بشريّ قطّ فأسلم من أسلم وكفر من جحد، والإعجاز لن يكون إلّا لمن كان له وصف الجلال والكمال في كلّ شيء، ولن يتحقّق ذلك إلّا لربّ العالمين، وهذا الكلام قد نصّ على مصدره في أكثر من موضع منه كقوله: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)" (سورة الشعراء، الآية 192-193-194-195)، وقوله أيضاً: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" (سورة ص، الآية 29)، والتّصوُّص في هذا كثيرة سواء من القرآن نفسه أم من السّنة النبوية على أنّه كلام مصدره ربّاني لا غير، بل هو عقيدة وركن من أركان الإيمان إذ لا يمكن الإيمان بالكتب السماوية إلّا من خلال إثبات مصدريتها لله عزّ وجلّ.

2-4- تعريف الإعجاز القرآني: ولتعريف الإعجاز القرآني باعتباره مركّباً وجب علينا الوقوف عنده مفكّكا كالآتي:

2-3-1- تعريف الإعجاز:

أ- لغة: الإعجاز في اللّغة من العجز، والذي يدلّ على الضّعف، ولذا سمّي الرّجل الكبير في السّن عجوزاً لأنّه يضعف ويصبح غير قادرٍ، ومن ذلك الإعجاز (ابن فارس، 1979م، صفحة 232) (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 371).

ب- اصطلاحاً: ويتبين لنا بعد التعريف اللّغوي أنّ الإعجاز في الاصطلاح هو عجز الإنسان على فعل شيء ما، وقد تناول العلماء في هذا المبحث تعريف المعجزة لأنّ الإعجاز مشتقّ من المعجزة، وأذكر بعضاً من تعريفات المعجزة كما يلي:

- (السيوطي، 1974م، صفحة 03) "المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية".
- (الزرقاني، صفحة 73) "أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهداً على صدقه".
- (الرومي، 2003م، صفحة 257) "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهداً على صدقه".

- (أحمد عمر، 2003م، صفحة 21) "الأمر الذي يفوق طاقات البشر ويحرق قوانين الطبيعة وخواص المادة سلاحاً للنبي صلى الله عليه وسلم رغم أميته ليتحدى به قومه".

2-3-2- تعريف القرآن:

أ- لغة: اختلف العلماء في المعنى اللغوي للقرآن بين كونه اسماً غير مشتق يدل على كتاب الله تعالى كما حال التوراة والإنجيل، وبين كونه مشتقاً من فعل مهموز وهو قرأ يقرأ قرآنًا، وفي كل الأحوال يبقى هذا المعنى اللغوي سائغاً في أن يستعمل ويطلق به الكتاب العزيز، أو يطلق ويراد به اشتقاق من الفعل قرأ (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 129).

ب- اصطلاحاً: عرّف العلماء القرآن بتعريفات كثيرة تدور في نفس المعنى، لذا يكفينا بتعريف جمع لنا في الغالب تعريفات متعدّدة بأنّه:

- (مُحَمَّد منصور، 2002م، صفحة 195) "كلام الله تعالى المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء، سيدنا مُحَمَّد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس".

2-3-3- تعريف الإعجاز القرآني: ومن التعريفات السابقة يتبيّن لنا مفهوم الإعجاز القرآني أنّه عدم القدرة على تحدي القرآن الكريم والإتيان بمثله من البشر والجان، ومن ذلك ما قيل عن الإعجاز القرآني:

- (الرومي، 2003م، صفحة 263) "عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثله هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث".

- (الموسوعة القرآنية، 2002م، صفحة 692) "إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله".

3- شبهات المستشرقين في مصدريّة القرن الكريم ومناقشتها:

3-1- المطلب الأوّل: شبهات المستشرقين في مصدريّة القرن الكريم:

تعتبر جهود المستشرقين في مجال الدّراسات القرآنية من أعظم المجالات التي أفرغوا فيها جهداً كبيراً دراسةً وتأليفاً؛ ليشمل ذلك مصدريّة القرآن الكريم، إذ اعتبروا هذا الأخير من تأليف النّبيّ مُحَمَّد ﷺ فنَقَوْ مصدريته لله عزّ وجلّ وأنكروا الوحي واعتبروه ظاهرةً تطرأ على النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- على شكل أحلام ورؤى وأوهام، وأنّه في بدايته كان عبارة عن أفكار وأمثلة تصوّر الحياة الآخرة، وهذا كلّهُ تأثراً بالمصادر الخارجية التي ساعدته في نسج القرآن (النشومي، 1984، صفحة 31). وفيما يلي أهمّ الشبهات المطروحة في ذلك (عبد الرزاق ابن إسماعيل، 1999م):

3-1-1- شبهة أنّ محمّداً -عليه السلام- هو من ألّف القرآن: زعم المستشرقون أنّ القرآن الكريم هو من تأليف النّبيّ مُحَمَّدٍ -عليه السلام- من خلال ما كان يدور في ذهنه وما كان يراه مناسباً ليقول القرآن، فهو في نهاية المطاف

من قول محمد -عليه السلام- وهذه الشبهة هي أصل كل الشبهات التي ستبني عليه لاحقاً، ومن ذلك قول المستشرق سنكلير تسدل (تسدل، 1923، صفحة 372) "لو اتفق المسلمون أنّ القرآن من تأليف محمد وكتب بالوحي، وليس كما يقولون أنّه أملاه عليه جبريل لكانت حجّتهم أقوى"، وقول المستشرق جرجس سال (سال، 1914، صفحة 131) "ومّا لا مرأ فيه ولا ينبغي أن يختلف فيه اثنان أنّ محمّداً هو في الحقيقة مصنّف القرآن وأوّل واضعه...". أي أنّ المستشرقين حسمو مصداقية الكريم إلى محمد -عليه الصلاة والسلام- وأنّه استعان بجملة من المصادر في تأليف الكتاب.

3-1-2- شبهة التشابه بين القرآن والشعر والتثر الجاهلي: تميّز العهد الجاهليّ بأنّه عهدٌ لمع فيه الشعر والتثر البليغ الفصيح الجميل، فظهر في ذلك الوقت نجوم أضأوا سماء الأدب العربي من خلال نظم الشعر والتباهي والتفاخر بذلك، فصار من يقول كلاماً بليغاً موزوناً مقفى يحظى بقبول بين الناس واعتراف به كأصحاب المعلقات العشر، ومن هنا بدأ المستشرقون طرح شبهتهم في هذا الأمر إذ قالوا أنّ محمّداً -عليه الصلاة والسلام- عاش في بيئة تميّز بالشعر والبلاغة والبيان، وأنّ القرآن لا يختلف عن هذا الأسلوب إذ هو عبارة عن مزيج بين الشعر والتثر البليغ، وأنّ بلاغته وفصاحته ليستا سببا في ترجيحه عن غيره من الكتب وأنّه منزل من السماء؛ إذ هناك الكثير من الفصحاء على هذه الأرض وهذا لا يختلف عن القرآن (تسدل، 1923، الصفحات 361-362-363)، كما ادّعى البعض أنّ أساليب الأدب العربيّ المتمثلة في السجع والشعر لهما صلة وثيقة بالأسلوب القرآني، وأنّ في القرآن مواضع مسجوعة وأخرى موزونة على مجور الشعر وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ القرآن صناعة محمّديّة اعتمدت على البيئة الأدبية التي كان يعيش فيها (مرجليوت، 2006م، صفحة 32 وما بعدها).

3-1-3- شبهة أنّ القرآن الكريم مأخوذ من الديانة اليهودية والنصرانية: ادّعى المستشرقون أنّ القرآن الكريم مأخوذٌ الديانة اليهودية والنصرانية وكتبهم، أي أنّ محمّداً -عليه الصلاة والسلام- رجع إلى التوراة والإنجيل وتعاليم هذه الديانات لكي يقتبس منها ما يناسبه، فأخذ الأحاديث التي كانت دائرة على ألسنة اليهود والنصارى في عصره وأوردها في القرآن كحقائق راهنة (سال، 1914، صفحة 129)، ومن هذه الشبهة ما زعموا أنّ النبيّ صل الله عليه وسلّم تتلمذ على الراهب النسطوري "سرجيوس بحيرا" فتلقّى أهمّ المبادئ الأساسية عن التوراة والإنجيل قبل أن يكون عقيدته الخاصة ويعلن عن نفسه نبياً (جورافسكي، 1996م، الصفحات 61-62)، فمدار هذه الشبهة أنّ محمّداً -عليه الصلاة والسلام- استعان بالديانتين اليهودية والنصرانية وكتبيهما التوراة والإنجيل وما نصّتا عليهما من الأحكام والتعاليم، ولأنّ محمّداً -عليه الصلاة والسلام- كان يتميّز بخداقة وذكاء وفطنة استطاع أن يصل إلى دينه الخاص بناء على ذلك فألف القرآن تارة من اقتباسات من التوراة وتارة من الإنجيل وتارة ما يراه مناسباً مع فلسفة الدين.

3-1-4- شبهة أنّ محمّداً -عليه الصلاة والسلام- أخذ من الحنفية: لما دعا النبيّ صل الله عليه وسلم قريشاً إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإفراده بالعبادة دون غيره من الأصنام ولأوثان التي كانوا يعبدونها من دونه سبحانه، وجاء بعقيدة التوحيد مبطلا كل أنواع الشرك المنتشرة آنذاك دسّ المستشرقون شبهة في ذلك وهي أنّ محمّداً -عليه الصلاة

والسلام- لم يكن أول من دعا إلى التوحيد وأنّ هذه العقيدة كانت موجودة قبل محمد عند الحنفية من أتباع إبراهيم كانوا يوحّدون الله عزّ وجلّ، ومن هؤلاء ورقة بن نوفل الذي كان تابعا لمذهب الحنفية قبل أن يصير مسيحيا، فمحمد عليه الصلاة والسلام- لما ألّف القرآن أخذ من تعاليم الحنفية أيضا، وفي هذا يقول سنكلير تسدل (تسدل، 1923، صفحة 368): "فلو أنّ محمّدا هو أول من قال بوحدانية الله لوجب علينا بدون نزاع أن نؤمن به، أمّا وقد سبقه إلى ذلك كثيرون من قديم الزّمان فليس له علينا حجة..."

3-1-5- شبهة إنكار حقيقة الوحي ووصفه بالصرع والهوس: يعتبر الوحي إعلاما من الله عزّ وجلّ من لمن اصطفاهم من عباده لجملة من ألوان الهداية والعلم، ويكون بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر، ويكون على عدّة أنواع منها ما يكون كلاما مباشرا بين الله وعبده ككلامه سبحانه مع موسى عليه السلام، ومنها ما يكون إلهاما يقذفه الله في قلب مصطفىه على وجه من العلم الضروري لا يخالطه شك ولا ريب، ومنها ما يكون مناما صادقا متحققا (الزرقاني، صفحة 64)، أمّا المستشرقون فيعبرون الوحي خلاف ذلك فقد طعنوا في مصداقية هذا الوحي ومصدريته، فقد اعتبروا أنّ النبيّ محمّدا عليه الصلاة والسلام مصاب بالصرع وفقدان الذاكرة الذي هو نوع من الصرع الفعلي، وأنّه كان يعاني من حالة الاضطراب النفسي الشّديد منذ ولادته (نولدكه، 2000م، الصفحات 23-24)، كما وصف الوحي أيضا بالهوس ويقول في ذلك المستشرق الفرنسي لوبون (لوبون، 2013م، صفحة 118): "ويجب عدّ محمّد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية، كما هو واضح، وذلك كأثر مؤسسي الديانات، ولا كبير أهمية لذلك، فأولو الهوس وحدهم، لا ذوو المزاج البارد من المفكرين، هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، وممت يبحث في عمل المفتونين في العالم يعترف بأنّه عظيم، وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدّول وأثاروا الجموع وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم؛ لكان للتاريخ مجرى آخر".

وهذه هي أهمّ الشبهات التي تتفرّع عنها الكثير من الشبهات التي لا يسعنا ذكرها جميعا، ونكتفي بالردّ عليها عليها ومناقشتها، أي الشبهة الرئيسة للمستشرقين أنّ القرآن الكريم ليس كلام ربّ العالمين وإنّما هو من تأليف محمّد - عليه الصلاة والسلام- أخذه من جملة من المصادر التي ذكرناها آنفا.

3-2- المطلب الثاني: مناقشة شبهات المستشرقين في مصداقية القرآن الكريم والردّ عليها: وسنناقش هذه الشبهات المطروحة كما يلي (إبراهيم، 2011م):

3-2-1- مناقشة شبهة أنّ النبيّ محمّد صل الله عليه وسلّم هو من ألّف القرآن: وتعتبر هذه الشبهة قديمة وليست وليدة المستشرقين، إذ أثّرت عبر التاريخ الإسلاميّ مرارا وتكرارا، ويمكن الوقوف على عدّة نقاط تبين بوضوح استحالة تأليف النبيّ محمّد صل الله عليه وسلّم للقرآن، وذلك كما يلي:

- تميّز القرآن الكريم بأسلوب فريد واختلافه عن الحديث النبويّ؛ إذ يختلف الأسلوب الأدبيّ للقرآن عن أسلوب الحديث المتسمّ بالبلاغة، أمّا القرآن فله ميزة إلهية تجعله فريدا وخاصّا.

- لو كان محمد عليه الصلاة والسلام هو من ألّف القرآن فما كان ليلوم ويعاتب نفسه في آيات كثيرة عاتبه الله فيها على أخطاء ارتكبتها، ومن ذلك قوله تعالى: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ هُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ" (سورة التوبة، الآية 43)، فهنا عاتب الله النبي صل الله عليه وسلم لما أذن لبعض المنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك، وأيضاً قوله تعالى: "وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي ربي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24)" (سورة الكهف، الآية 23-24)، وقوله أيضاً: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2)" (سورة التحريم الآية 01-02)، والآيات كثيرة في مثل هذا التسق، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مصداقية القرآن الكريم من رب العالمين.

- شهادة العرب بأنّ القرآن ليس كلاماً عادياً كسائر كلام البشر، ومن ذلك حديث الوليد بن المغيرة لما قال للنبي صل الله عليه وسلم: اقرأ عليّ فقرأ عليه {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (سورة النحل، الآية 90) قال: أعد، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر، وقال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي ولا أعلم بجزءه ولا بقصيدته منّي ولا بأشعار الجوّ، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا والله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة وإنّ عليه لطاوة وإنّ لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنّ له ليعلو وما يعلى وإنّه ليحطم ما" (أخرجه البيهقي)²، وهذه الشهادة صدرت من رجل لم يؤمن بمحمد صل الله عليه وسلم.

- كيف لرجل أميّ لا يعرف الكتابة ولا القراءة أن يألّف كلاماً أعجز أرباب الشعر والبيان بأن يأتوا مثله؛ بل وقفوا مستسلمين أمامه، والقرآن وصفه كذلك في قوله: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ..." (سورة الأعراف، الآية 157)، وقد ثبت عن النبي حقاً أنّه كان أميّاً وذلك ليس عيباً فيه وإنّما هو إعجازٌ وتأكيّد لرسالته صلى الله عليه وسلم ونفيّ لكلّ شبهة تقول أنّ محمداً ﷺ - هو مؤلّف القرآن.

3-2-2- مناقشة شبهة التشابه بين القرآن الكريم والشعر والأدب الجاهلي: لما جاء القرآن الكريم في بيئة تتميز بقوة الشعر وجمال الأدب والبلاغة والبيان، كان لابدّ للقرآن الكريم أن يكون مرناً يتماشى مع هذه البيئة لكي يُدركوا حقيقة مصداقيته الربّانية، إلّا أنّ المستشرقين رفضوا هذه المصدريّة بحجّة التشابه مع الشعر والأدب الجاهلي، ويردّ عليهم من وجهات نظر مختلفة هي كالآتي:

- القرآن الكريم ليس شعراً بالاتّفاق لأنّ ليس له ميزانٌ موسيقيّ خاصّ كالشعر، فلو كان كذلك لأدركت العرب بأنّه شعر ولكنها اعترفت بأنّه كلامٌ ليس بشعراً ولا شعراً، إلّا أنّه حلّو جميل يُعلى ولا يُعلى عليه كما قال الوليد بن المغيرة

² أخرجه البيهقي، كتاب الاعتقاد، باب في إثبات نبوة محمد، أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1401هـ، ص 268.

السابق الذكر، وكم من صحابيٍّ أسلم لما سمع القرآن الكريم أدرك مباشرة إعجاز هذا الكلام وأنه كلام من رب العالمين، فكيف لمستشرق غير ناطق باللغة العربية أن ينفي مصدرية هذا القرآن بحجة التشابه بينه وبين الشعر والأدب الجاهلي.

- القرآن الكريم شمل مجموعة من الأنظمة التي تغطي جميع مجالات الحياة الإنسانية من الجوانب الدنية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولم يكن لمثل هذا النظام في الشعر والأدب الجاهلي.

- سبق وقلنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمي؛ فهو إذن ليس بشاعرٍ، فكيف يأتي بكلامٍ من تلقاء نفسه يكون مشابهاً للشعر لولا أن الله تعالى لحكمة أرادها هو سبحانه أن يكون هذا التشابه فقط من أجل التحدي والإعجاز، فلما تحدى زعماء الشعر والبيان عجزوا عن الإتيان بمثله وهذا من مصداقية القرآن الكريم لمصدريته المتمثلة في رب العالمين.

- للقرآن الكريم تأثير عجيب في النفوس خاصة على المسلمين وهو ما ليس موجوداً في الشعر والأدب الجاهلي.

3-2-3- مناقشة شبهة أن القرآن مأخوذ من الديانة اليهودية والنصرانية: ويردُّ على هذه الشبهة الكاذبة من عدة أوجهٍ نذكر منها ما يفتدّها:

- لو كان القرآن الكريم مأخوذ من الأفكار اليهودية والنصرانية وكتايبهما التوراة والإنجيل لما ردَّ على تحريفاتهما، إذ يُعتبر كلٌّ من التوراة والإنجيل كتباً سماوية أنزلها الله تعالى على موسى وعيسى عليهما السلام فلما دخل عليهما التحريف والزيف أبطلهما القرآن الكريم باعتبارهما محرفين على الوجه الصحيح الذي أنزل عليهما، فلا يمكن عقلاً لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يردَّ على كتاب استقى منه أفكاره الأساسية، والله يقول في كتابه: "قَوْلًا لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلًا هُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ" (سورة البقرة، الآية 79)، وهذا ردٌّ على التحريف الذي حلَّ بالتوراة والإنجيل، إذ أنَّ العلاقة بينهما والقرآن ليست علاقة تكذيب أو اقتباس؛ بل هي علاقة تصديق بهما وتفصيل للتحريف الواقع لهما لقوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا..." (سورة المائدة، الآية 48)، فلما حُرِّفَت هذه الكتب أنزل الله القرآن ليدحض هذا التحريف، وليس العكس بأن يكون مُحمَّد عليه الصلاة والسلام هو الذي اقتبس منهما القرآن الكريم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

- القرآن عربيٌّ مبين أمَّا التوراة فأنزلت بالعبرية والإنجيل بالسريانية، وما تميَّز القرآن المبين هو الأسلوب البلاغي والبياني العجيب الذي أتى بهما، فلو كان محمد عليه الصلاة والسلام هو الذي اقتبس منهما لما وُفِّق في إعجاز العرب به، وهذا لا يمكن إلا إذا كان من عند ربِّ العالمين.

- جوهر القرآن يختلف عن جوهر التوراة والإنجيل المحرّفة، إذ القرآن يدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبادة، أمّا التوراة والإنجيل المحرّفتان فقد وقعتا في عقيدة الإلشراك بالله تعالى " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ " (سورة التوبة، الآية 30)، فهل يعقل أن يأخذ القرآن من كتاب يناقض أصله وجوهه!

- لم يثبت في كتب السيرة والتاريخ إطلاقاً أنّ قريشاً اتّهمت محمّداً أخذ تعاليم القرآن من الرّاهب بحيرى، فكيف لمستشرق ظهر مؤخّراً يحاول أن يثبت ما لم يُثبت كقار قريش وهم أعلم منه في هذا الأمر!

3-2-4- مناقشة أنّ محمّداً -عليه الصلاة والسلام- أخذ من الحنفية: ويُردّ عل هذه الشبهة بما يلي:

- كيف يأخذ محمّد التّعاليم من طائفة من الحنفية وهو لم يثبت عنه أبداً أنّه كان يجالسهم أو يلتقي به، فإذا ما ثبت هذا الأمر تاريخياً فكيف لمستشرق أن يلقّق الأحداث ببعضها دون ثبوت وتكون صحيحة!

- الحنفية كانت موجودة وهذا أمر طبيعي أن يكون التّوحيد موجوداً عند البعض لأنّه رسالة جميع الرّسل، لكن ما جاء به محمّد عليه الصلاة والسلام من تشريعات وأحكام لم تكن أبداً موجودة عند الحنفية وهذا من وحي الله تعالى دون غيره، فلا يمكن إثبات ما لم يثبت دون دليل.

- ما جاء به القرآن يؤكّد أن التّوحيد هو رسالة جميع الأنبياء والرّسل، فالقرآن جاء مؤكّداً لعقيدة التّوحيد نابذاً للشرك ومظاهرة، وراذاً ومبطلاً لأيّ ديانة غير الإسلام مُشرّعاً لعباداتٍ ومحزّماً لمعاملاتٍ وعاداتٍ ومجيزاً لبعضها، وإن وافق القرآن الحنفية في التّوحيد فلا بأس بذلك لأنّه الأصل وهم على آثار إبراهيم عليه السلام الذي هو نفسه جاء بعقيدة التّوحيد من ربّ العالمين، وهذا إن دلّ عل شيء فإنّه يدلّ على ربّانية القرآن الكريم.

3-2-4- مناقشة شبهة إنكار حقيقة الوحي ووصفه بالصّرع والهوس: أمّا أن نصف الوحي بظاهر الصّرع والهوس فهذه شبهة ما بعدها شبهة، ويُردّ عليها بما يلي:

- النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم ثبت عنه أنّه كان صادقاً أميناً رصين العقل يتميز بالحكمة والدّكاء والفتنة ولم يكن مجنوناً أو مصاباً بأيّ شكلٍ من أشكال الصّرع أو الهوس قبل البعثة، وقد عُرف بذلك عند جميع العرب من قريش ولم يتّهمه أحد بذلك قطّ إلّا بعد البعثة لما جاءهم بعقيدة تنافي عقيدة الشرك التي ورثوها عن آبائهم وأهوائهم، وما هؤلاء المستشرقين إلّا نسخة من كفار قريش لما لم يجدوا ثغرات حقيقة في القرآن لجأوا إلى الطّعن في الوحي باعتباره هوساً وصراعاً للنبيّ مُحمّد عليه الصلاة والسلام اتّباعاً لأهوائهم.

- كيف لشخصٍ به صرع أو مصابٍ بالهوس أن يأتي بقرآنٍ فاقّ المستويات العالية عند أقحاح العرب من البلاغة والبيان، وجاء بحقائق علمية وتاريخية وتوجيهات أخلاقية وتشريعات دقيقة تعود بالنّفع على جميع البشر، ناهيك عن تأسيس وبناء دولة إسلامية كان قائدها بالتّسئيس الرّشيد والتّخطيط السّليم، وإن كان الأمر كذلك فلا بدّ من التّسليم لربّانية القرآن وحقيقة الوحي.

4- أثر الإعجاز القرآني على هذه الشبهات:

يتميز القرآن الكريم بكونه المعجزة الخالدة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلقد أعجز من أدركوا تنزيله فلم يبق لهم سو التسليم له لأنه معجز في معانيه وتراكيبه، ومن معجزاته استمرار إعجازه إلى يومنا هذا، فما من شخص تسوّل له نفسه في أن يطعن في مصداقيته إلّا وخرج مهزوماً ومن ذلك المستشرقين الذين أثاروا شبهات حول مصدرة القرآن الكريم؛ إلّا أنّ إعجازه جعل كلّ جهودهم تذهب هباء منثوراً، وفي هذا المبحث سنتوقف على ما يلي:

4-1- المطلب الأول: أثر الإعجاز اللغوي والبياني على هذه الشبهات: اختصّ القرآن الكريم بالسبك العجيب الذي قيل به من حيث الألفاظ والكلمات التي كانت تميّزت بجمال الأسلوب وبديعه، وكذلك فهو يحوي معاني دقيقة ومباني عجيبة، فكان بديعاً ينظمه وعجيباً في تأليفه (والتأليف هنا من تألف ألفاظه وجمله وتناسقها مع بعضها)، وهذا ما يسمّى في البلاغة الحدّ الذي يعجز الطوق البشري عن الإتيان بمثله، فلقد أعجز أعلم الناس بالأشعار والبيان واللغة والتحو والصرف والبلاغة من أقحاح وفصحاء العرب من قريش إلى يومنا هذا، فوقفوا عاجزين مستسلمين بأنّ هذا الكلام ليس بكلام بشر قطّ لأنه لو كان كذلك لاعتراه الخطأ والنقص والزلل وهذا ما لا يوجد في القرآن؛ إذ هو كتاب متكامل ما فيه أيّ سبيل للنقص، ويعتبر هذا الوجه من الإعجاز حجّةً على العرب وحدهم لا غير، لأنّ الأعاجم لا يمكنهم أن يستشعروا إعجازه ولسانهم غير عربيّ، فلا لهم أدوات تمكّنهم على فهمه ولا آليات تساعدهم في إدراك إعجازه، على غرار العرب الذين أيقنوا إعجازه عند أوّل آية سمعوها منه (البوطي، 1999م، صفحة 135) (الباقلائي، 1997م، صفحة 260 وما بعدها)، وفيما يلي أمثلة عن الإعجاز اللغوي والبياني (البوطي، 1999م، صفحة 139 وما بعدها):

- قال الله تعالى: "فَالْيُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلُ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا" (سورة الأنعام، الآية 96)، فكلمة "سكنا" لها مرادفات كثيرة مثل هدوء، وطمأنينة، ولكن المعنى الذي تبثّه في شعورك الكلمة القرآنية، لا تجد شيئاً منه في غيرها مهما تساوى معها في أصل الدلالة اللغوية. وهذا الوجه من الإعجاز لا يمكن إدراكه سوى من عربيّ فحّ أصيل، فكيف لمستشرق غربيّ درس علم الشرق أن يقول أنّ القرآن مصدرة الأدب والشعر والجاهلي، أليس هذا تناقضاً عجيباً في الطرح، إذن فالإعجاز اللغوي والبياني هو بذاته ينفي شبهة أنّ القرآن مصدرة الشعر والأدب الجاهلي.

- وفي قوله تعالى: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ" (سورة القمر، الآية 11-12)، مثال آخر يؤكّد نفي هذا الإعجاز لهذه الشبهات، فالمقابل لميزان هذه الآية يستشعر مدى تناسق الكلمات في كلّ جملة منها، إذ كيف تألفت الحروف الرخوة مع الشديدة، والمهموسة مع المجهورة، و تألف الحركات والسكنات والمدود وتعاطفها مع بعضها، وهذا أمر لا يمكن إدراكه ولا استشعاره إلّا ممّن له ذوق في اللغة والعربية فيهدّي إلّا أنّ هذا الكلام بليغ فصيح عجيب، لا

يمكن لبشريّ قطّ أن يوفّق في قوله بمكذا أسلوب سوى ربّ العالمين جلّ في علاه، فكيف يقال أنّ هذا الكلام من تأليف محمّد عليه الصّلاة والسّلام اقتبسه من الشّع والأدب الجاهلي !

4-2- المطلب الثّاني: أثر الإعجاز التشريعيّ على هذه الشّبهات: إنّ الأحكام التشريعية التي جاء بها القرآن الكريم هي في حدّ ذاتها إعجازٌ ربّانيّ، إذ المتأمل فيها يجدّها منظمة ومحكمة ولا تناقض فيها؛ بخلاف الأحكام الوضعية التي يضعها الإنسان فإنّ فيها دائما ثغورا ونقصا تعزّيها وهذا أمر منطقيّ لأنّ قوانين البشر تتحدّها شهوات ونزوات وحاجات بشرية حقّت بها، فيقع فيها ما يقع من زل، لذا نجد أنّه كلّما استطاعت دولة أن تسنّ قوانين بعيدة عن هذه الأخطاء والشّهوات والنّقصات؛ كلّما حققت الاستقرار والتّطور والازدهار، والعكس كلّما وقت فيها كلّما كانت متخلّفة ومتأخّرة عن الدّول في شتى مجالات الحياة، ولهذا استطاع النّبّي صلّى الله عليه وسلّم أن يبيّن دولة قوية ومزدهرة من لا شيء، فقط لأنّ تشريعاته كانت في القرآن الكريم وهي متكاملة خالية من أيّ خطأ أو تناقض دائما ما تتوافق ومقاصد التشريع من تحقيق العدالة والمساواة وجلب المصالح ودرء المفساد وتحقيق التكافل الاجتماعي والاستقرار السياسي والتّطور الاقتصادي، وهذا كلّ يثبت ربّانية القرآن الكريم ويدحض كلّ الشّبهات التي تقول أنّ محمّدا ألف القرآن مستعينا من تعاليم وأحكام الديانات السّابقة كاليهودية والنّصرانية، لأنّه لو كان كذلك لوقع في تناقض وخطأ بشري وهذا ما لم يحدث (البوطي، 1999م، صفحة 153 وما بعدها) (القطان، 2000م، صفحة 284)، وفيما يلي أمثلة من هذا النّوع من الإعجاز (القطان، 2000م، الصفحات 285-286):

- قال تعالى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا" (سورة الأنبياء، الآية 22)، وقوله: "قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا" (سورة الإسراء، الآية 42)، المتأمل في هاتين الآيتين يجد أنّ القرآن الكريم يؤكّد وحدانية الله بالحجج القاطعة التي تقوم على المنطق العقلي السليم، لأنّه العقل والمنطق السليم يقول أنّ في تعدّد الآلهة مآل إلى الابتغاء بينهم أيّهم يكون في العرش تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهذا لا يقبل جدالا ولا مرأى، وهذا إعجازٌ تشريعيّ يبطل شبهة أنّ محمّدا أتى بالقرآن من الدّيانة اليهودية أو النّصرانية وغيرها من الشّبهات الكاذبة.

- كذلك المتأمل في تشريع الصّلاة أنّها تجعل الإنسان مرتبطا في كلّ جوانب حياته بالله تعالى، وأنّ الزكاة تعلّمه عل العطاء وتخلّصه من البخل والشّح وتعلّم على التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي، وأنّ الصّيام يعلم على الصبر وترويض النّفس على حبس الشّهوات وتقوية العزيمة والإرادة، والحجّ سياحة تروض النّفس على المشقة والتأمل في آيات الله والالتقاء مع مختلف البشر من مختلف الدول. وهذه تشريعات تخدم الإنسان وتجلب مصلحته في الدّنيا والآخرة، وهذا لا يمكن لبشر أن يأتي بتشريعات متكاملة بهذا الشّكل سوى المشرع سبحانه وتعالى، وهذا يبطل شبهات المستشرقين في مصداقية القرآن الكريم.

4-3- المطلب الثّالث: أثر الإعجاز العلمي على هذه الشّبهات: إنّ القرآن الكريم هو حقائق علمية كثيرة لم يكن العقل البشري أن يصل إليها قبل أربعة عشر قرنا في ذلك الزّمان، نظرا لعدم وجود المعدّات والأدوات التي توصل إليها،

ولكن بعد مدّة الزمن استطاع العقل البشر أن يصل إليها من خلال التجربة والبحث العلمي وأن يدرك أنّ القرآن الكريم عل حقّ في ذلك، وهذا التّوع من الإعجاز من أعظم أنواع الإعجاز الذي يثبت ربّانية القرآن الكريم وأي شبهة تحاول نسبها إلى النبي محمد عليه الصّلاة والسّلام هي مجرد كذبة (الطّيار، 1433هـ، صفحة 168 وما بعدها)؛ ومن الأمثلة ما يلي:

- قوله تعالى: "ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (سورة المؤمنون، الآية 14)، فهذه الآية تحوي إعجازا علميا عجيبا إذ قبل أربعة عشر سنة ذكر القرآن الكريم مراحل تشكّل الجنين بهذا الوصف الدّقيق العجيب، وهو ما أكّده علم الأجنّة الحديث؛ إذ أنّ:

- النّطفة هي الخلية الجنسية الذّكرية التي تخصّب الخلية الأنثوية، فتتشكّل البويضة الملقّحة.

- أمّا العلقّة في هذه المرحلة، فهي البويضة الملقّحة تعلق بمجدار الرّحم.

- أمّا المضغة فهي تطوّر العلقّة فتصبح شبيهة بقطعة لحم ممضوغة.

- وبعد تشكّل المضغة تبدأ خلايا الجنين في تشكّل الهيكل العظمي.

- وبعد تشكّل العظام يُكس باللحم، فتغطّى بالعضلات والأنسجة اللّحمية.

- أمّا الخلق الآخر فيقصد به نفخ الرّوح في الجنين وتحوّله إلى كائن حيّ مكتمل.

وهذا كلّ وصف قرآنيّ دقيق لمراحل تشكّل الجنين، والتي لم تكن معروفة في زمن نزول القرآن وهذا كلّ يدلّ على ربّانية القرآن الكريم وإعجازه، فلو كان من تأليف رجلٍ أمّيٍّ قبل أربعة عشر قرناً؛ فأثبّ له أن يعرف هذا التّتابع الدّقيق لمراحل تشكّل الإنسان لولا وحي الله تعالى له، فهو يطل كلّ شبهات المستشرقين في ذلك.

4-4-4- المطلب الثالث: أثر الإعجاز الغيبي على هذه الشّبهات: كما أنّ القرآن الكريم يحمل في طيّاته الكثير من

التنبّؤات المستقبلية التي ستقع، رغم عدم وجود أيّ شاهد من العقل أو الحسّ أو الدلائل التي تعود الإنسان على الاعتماد عليها، سواء كانت تتعلّق بأحداث عامّة أو خاصّة، أو حتى بسنن ونواميس كونية، وتحقّقت فعلا لاحقا هذه الأخبار، وهذا من إعجاز القرآن الغيبي الذي لا يمكن لبشر أن يتنبّأ بما سيحدث لاحقا، وهذا دليل على أنّ الله تعالى هو منزل الكتاب لا ريب في ذلك، وأنّ شبهة تحوم حول ذلك فهي باطلة، ومن ذلك:

- قوله تعالى: "أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ" سورة الروم، الآية 1-2، ففي هذه الآية تنبؤ دقيق بالأحداث التي لم يكن أحد ليعرفها زمن نزول هذه الآية، وهذه الأحداث تتحدّث عن الهزيمة المؤقّتة للرّوم أمام الفرس، ثم انتصارهم عليهم بعد فترة قصيرة وتحديدًا في "بضع سنين" وبضع في اللّغة العربية تعني من ثلاثة إلى تسع سنوات، وهذا ما حدث فعلا كما أكّده كتب التّاريخ والسّير

(البوطي، 1999م، صفحة 180). وهذا كلّ إعجاز غيبيّ للقرآن الكريم فلا يمكن لبشر لمحمدٍ صلى الله عليه وسلّم أن يتنبأ بكلّ هذه الأحداث وتقع كما هي لولا الوحي، وهذا دليل أيضا على ربّانية القرآن الكريم وبطلان شبهات المستشرقين.

بعد استعراض وتحليل الشبهات التي أثارها المستشرقون حول مصدرة القرآن الكريم ودراسة أوجه الإعجاز القرآني المختلفة، توصلت إلى جملة من النتائج والتوصيات، أهمها:

أولاً: النتائج:

- تبين مفهوم الشبهة أنّها ما أشكل واختلط والتبس في أمرٍ من أمور الدين، تصرف عن انكشاف الحقي أو الحلال، فلا يُدرى أهو حلال أم حرام، أو حق أم باطل، وهي واردة في جلّ علوم الدين وفنونه من علم العقيدة أو الفقه أو القرآن وما يتعلّق به.

- للاستشراق مفهوم عامّ وخاصّ؛ الأول يراد به دراسة الثقافات واللغات والأديان والتاريخ والفنون والآداب التي ترتبط بشرق العالم، أمّا الخاصّ فهو الذي يتعلّق بالشرق الأوسط.

- اتّضح مفهوم الإعجاز بأنّه عدم القدرة على تحدي القرآن الكريم والإتيان بمثله من البشر والجان.

- تأكيد المصدرة الإلهية للقرآن الكريم من خلال الأدلة العقلية واللغوية والعلمية والتشريعية، أنّ القرآن الكريم يتجاوز الطّوق البشري والقدرة الإنسانية في تركيبه وأسلوبه ومضمونه، ممّا يؤكّد أنّه يستحيل أن يكون من صنع بشر، بل هو وحي إلهي.

- دحض شبهات المستشرقين التي تستند إلى فهم خاطئة للنصوص القرآنية وتحليلات متناقضة غير دقيقة، والرّدود المبنية على الإعجاز القرآني تقدّم تفسيرات منطقية وقوية لهذه الشبهات.

ثانياً: التوصيات: ومن التوصيات ما يلي:

- تشجيع البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنية، والتّعمّق أكثر في موضوع الإعجاز القرآني بكلّ وجوهه خدمة للقرآن الكريم والدين الإسلامي.

- إنشاء مراكز بحث متخصصة في الدراسات القرآنية، للحدّ من زحف الشبهات المثارة حول القرآن الكريم والإسلام.

- عقد دورات وملتقيات تحثّ على ضرورة توعية الباحثين بخطر المستشرقين والشبهات التي يثيرونها حول الإسلام عامة والقرآن خاصة والتّصدي لهم.

1. القرآن الكريم.
2. سنن البيهقي، (1401هـ)، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
3. ابن القيم. (1432هـ). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والعلم والإرادة. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.
4. ابن فارس. (1979م). معجم مقاييس اللغة. سوريا: دار الفكر.
5. ابن منظور (1414هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
6. أحمد عمر أبو شوفة، (2003م)، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ليبيا: دار الكتب الوطنية.
7. أبو بكر الباقلاني، (1997م)، إعجاز القرآن، مصر: دار المعارف.
8. محمد سعيد رمضان البوطي، (1999م)، من روائع القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة.
9. سايس سالم الحاج، (2002م)، نقد الخطاب الاستشراقي، بيروت: دار المداد الإسلامي.
10. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، (2003م)، دراسات في علوم القرآن.
11. الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
12. السيوطي، (1974م)، الإتقان في علوم القرآن، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
13. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، (1433هـ)، الإعجاز العلمي إلى أين؟، السعودية: دار ابن الجوزي.
14. مناع بن خليل القطان، (2000م)، مباحث في علوم القرآن، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
15. الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الباحثين، (2002م)، مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
16. عجيل جاسم النشمي، (1984م)، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
17. جامعة المدينة العالمية، الدفاع عن السنة - (جامعة المدينة بكالوريوس).
18. أليكسي جورافسكي (1996م)، الإسلام والمسيحية، الكويت: عالم المعرفة.
19. محمد حمدي زقروق، (1989م)، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضري، القاهرة: دار المنار.
20. جرجس سال، (1914م)، مقالة في الإسلام، ترجمة: هاشم العربي، مصر: المطبعة الإنكليزية الأمريكية.
21. سنكلير تسدل، (1923)، ميزان الحق، مصر: مطبعة النيل المسيحية.
22. عبد القادر محمد منصور، (2002م)، موسوعة علوم القرآن، حلب: دار القلم العربي.
23. غوستاف لوبون، (2013م)، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
24. ديفيد صمويل مرجليوت، (2006م)، أصول الشعر العربي، ترجمة إبراهيم عوض، دار الفردوس.
25. تيودور نولدكه، (2000م)، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر، ألمانيا: دار نشر جورج ألز.
26. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، (1999م)، مطاعن المستشرقين في ربّانية القرآن الكريم، جامعة الكويت: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة عشر، العدد 38.
27. أيوب إبراهيم، (2011م)، الرد على شبهات المستشرقين حول مصدرة القرآن الكريم، جامعة سامراء كلية العلوم الإسلامية سامراء: مجلة دياي، العدد 53.